الفصل الثانى عشر

الإضرار بالإسلام خارج نطاق الإخوان

لو كان عداء الثورة بقيادة جمال عبد الناصر مقصوراً على جماعة الإخوان المسلمين لالتمسنا له العذر ، ولقلنا إنه لم يعادهم من أجل الإسلام ، بل من أجل أنهم خصوم سياسيون مثل الأحزاب السياسية التى أطيح بها من قبل . ولكن أعمالاً أخرى وُجِّهت ضد الإسلام فى مصر خارج نطاق الإخوان تدل دلالة قاطعة على أن عداء الثورة بقيادة جمال عبد الناصر كان المقصود به هو الإسلام نفسه كيفما وأينما وُجِد .

● الإضرار بالإسلام فى الأزهر :

عرفت أوروبا وزن الأزهر وثقله منذ الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ حيث قاوم رجاله وطلابه الاحتلال الفرنسى مقاومة شرسة وعبأ علماؤه قُوَى الشعب كله ضد نابليون وجنوده ، وضد مطامع فرنسا فى مصر ، وكان الأزهر هو قلعة النضال الوطنى العنيد ، ولم تفلح سياسة نابليون لا فى غزو الأزهر ، ولا فى التودد إلى علمائه ، والناس جميعاً يعلمون أن فتىً أزهرياً هو الذى قتل « كليبر » خليفة نابليون بعد عودته إلى فرنسا .

هذا الأزهر الذى دوَّخ الفرنسيين دوَّخ - كذلك - الإنجليز من بعدهم فى عهد الاحتلال البريطانى لمصر ، وأحبط كل الخطط التى كانت تصنعها قُوَى الاحتلال لمحو شخصية مصر الإسلامية فى أتون الحضارة الغربية . والتقارير التى كتبها المندوبون السامون فى مصر ، واللوردات المعتمدون البريطانيون ، تلك التقارير

توضح فى جلاء كيف كان الأزهر هو الصخرة التى تحطمت عندها آمال الاستعمار . حتى لقد لخص « كرومر » رأيه فى إبعاد الأزهر عن الحركة الوطنية فى أمرين :

* إما أن يُطوِّر الأزهر نفسه بما يتسق مع السياسة البريطانية .

* وإما أن يموت ويختفى بإنشاء دور علم أخرى تناوئه وتقضى عليه .

وللأسف . فإن هذا الأزهر الذى لم يستطع أن ينال منه أعداء الإسلام كان عرضة للإضرار والإفساد على يد الثورة المصرية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

لقد حققت الثورة خطط الاستعمار والتبشير ضد الأزهر . ففى مؤتمر التبشير العالمى الأول الذى عُقِد بمصر عام ١٩٠٦ برياسة القس « صموئيل زويمر » ، حيث أعلن المؤتمرون عن محاربة الأزهر بما فيه من علوم عربية وإسلامية ، وحيث أعلن المستعمرون الإنجليز الحرب ضد الأزهر . جاءت أعمال الثورة وكأنها تطبيق متفَق عليه لآمال المبشِّرين والمستعمرين وخططهم . وليقرأ القارىء الكريم كلام اللورد « لويد » فى كتابه : (Egypt Sinee Crommer) :

« إن التعليم الوطنى عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان فى قبضة الجامعة الأزهرية ، الشديدة التمسك بالدين ، والتى كانت أساليبها الجافة تقف حاجزاً فى أى إصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرَّجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الدينى ، ولا يصيبون إلا قدراً ضئيلاً من مرونة التفكير والتقدير . فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله هو لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ، وليس من اليسير أن نتصور أى تقدم (طالما) ظل الأزهر متمسكاً بأساليبه الجامدة ، ولكن إذا بدا أن هذا الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصوراً فى إصلاح التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح ، وعند ذلك سوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين :

* فإما أن يتطور .. (؟!) .

* وإما أن يموت ويختفى (؟!) .

وبالطبع لم يستطع الإنجليز تطوير الأزهر ، ولكن استطاعوا إنشاء التعليم غير الدينى الذى يناوىء الأزهر ليضيقوا الخناق على الأزهر فإما أن يُطوِّر نفسه ، وإما أن يموت ويختفى ، بَيْدَ أن الأزهر لم يؤثر عليه كثيراً هذا التعليم اللادينى كما كان يرجو الإنجليز ويقدِّرون .

أما تطوير الأزهر فقد تولته الثورة نيابة عن الإنجليز بعد رحيلهم فصدر قانون تطوير الأزهر لعام ١٩٦١ ، ومرَّ ذلك القانون على مجلس الأمة - لاعتماده - مرور الكرام ، ومن خلال جلسة واحدة دعى إليها الأعضاء ليلاً من منازلهم (جلسة طارئة قصيرة) تم التصديق عليه وإلباسه ثوب الشرعية (السياسية) ثم أعلن على الناس فى صباح اليوم التالى فى الصحف اليومية ، بعد أن دُبِّر الأمر بليل - كما جاء فى المثل - ولا مجال هنا لسرد آثار التطوير الذى منى به الأزهر ، ولكن من اليسير أن نقول : إن كفة الخسائر أثقل بكثير من كفة الأرباح بالنسبة للرسالة المنوط بها الأزهر تاريخياً ، وأن مستوى خريجيه فى ظل التطوير قد تدهور ، ولهذا التدهور أسباب كثيرة من أبرزها إثقال كواهل طلاَّبه بالمقررات التى يدرسها طلاَّب وزارة التربية والتعليم بالإضافة إلى مقررات الأزهر نفسه ، ومن مساوىء التطوير أنه أدخل مقررات وزارة التعليم إلى الأزهر ولم يدخل مقررات الأزهر (الحيوية) فى برامج وزارة التربية والتعليم . كما أدخل دراسة القانون الوضعى فى كلية الشريعة بالأزهر وفروعها فى الأقاليم ولم يدخل علوم الشريعة فى برامج كليات الحقوق ، وفى هذا تطبيق لما كان يدعو إليه طه حسين فى أوائل الخمسينات من أن « شبابنا الأزهريون لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، ولا كما ينبغى أن يتعلم الناس » كما قضى التطوير على استقلال الأزهر وجعله تابعاً لرياسة الجمهورية ، لأن طه حسين - كما سيأتى - دعا من قبل إلى ضرورة إشراف الدولة على الأزهر والقضاء على سلطان « هيئة كبار العلماء » التى تمثل دولة داخل الدولة ؟!

● إلغاء المحاكم الشرعية :

وفى نفس الخط « الأتاتوركى المصرى » تم إلغاء المحاكم الشرعية لتحل محلها المحاكم المدنية بحُجَّة القضاء على ازدواجية القضاء فى مصر . وكأن المحاكم الشرعية محاكم أجنبية داخل البلاد كتلك التى ألغتها الثورة باعتبار أنها تمس سيادة البلاد فى الصميم .

تطوير الأزهر كان للقضاء على ازدواجية التعليم فى مصر ، وكان ضحية هذه الازدواجية هو الأزهر .

وإلغاء المحاكم الشرعية كان للقضاء على ازدواجية القضاء فى مصر ، وكان ضحية هذه الازدواجية هو كلية الشريعة إحدى قلاع الأزهر الثلاث قبل التطوير .

وكما جرت تمهيدات لتطوير الأزهر جرت تمهيدات للقضاء على القضاء الشرعى ، فقد نشرت شائعة كانت لها ضجة فى الصحف وفى الرأى العام أن اثنين من قضاة المحاكم الشرعية بالإسكندرية (الشيخان فيل وسيف) ارتكبا الفاحشة مع إحدى المترددات على المحكمة التى كانا يعملان فيها لخصومة لها مع طليقها . وقد استندت مبررات إلغاء المحاكم الشرعية على هذه الواقعة . ولكن بعد أن تم كل شئ أصدرت المحكمة التى كانت تحاكم الشيخين حكمها بالبراءة ، وأنهما لم يرتكبا الفاحشة (؟!) وطبعاً هذا الحكم العادل جاء بعد فوات الوقت ؟!

* *

● إلغاء مدارس تحفيظ القرآن :

وفى نفس الخط - كذلك - تم إغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم التى كانت تابعة لوزارة التربية والتعليم حين كان وزيرها السيد كمال الدين حسين ، وكانت تلك المدارس من أغنى الروافد التى تمد الأزهر بالطلاَّب الحافظين للقرآن الكريم . وقد حدَّثنى مَن أثق فى صدقة أن السيد كمال الدين حسين كان يرى

تعميم تحفيظ القرآن الكريم على جميع مدارس الوزارة ، ولما عرض فكرته هذه على « السلطان الأعلى » أشار بإغلاق مدارس تحفيظ القرآن كخطوة أولى تعمم بعدها تجربة تعميم التحفيظ فى جميع المدارس ، ولما قام السيد كمال حسين بإغلاق المدارس (إياها) وطلب إدخال التحفيظ فى جميع المدارس كما وعدوه . لم يستجب له أحد ، فرجع السيد كمال الدين حسين بخفى حنين ، وتبيَّن له أنهم خدعوه (؟!) .

* *

● تأميم أوقاف الأزهر :

كان الأزهر قبل الثورة غنياً بالأوقاف التى وقفها عليه أهل المروءة والفضل من المسلمين ، وكان يستفيد من تلك الأوقاف طلاَّب الأزهر للاستعانة بها على طلب العلم ، ويستفيد منها الأزهر فى الإنفاق على شئونه العامة . وبجرة قلم صودرت تلك الأوقاف وضُمَّت إلى موارد الدولة العامة ، وصار الأزهر يعتمد على ميزانية تقرر سنوياً ضمن حساب الموازنة العامة للدولة ، وجدير بالذكر أن الأزهر ظل يعانى طويلاً - وإلى الآن - من الضائقات المالية المتكررة . فتأثر مستوى الأداء فيه فى الداخل والخارج . وقد حدَّثنا - ونحن طلاَّب بثانوى الأزهر - أحد المدرسين ، وكان مبعوثاً للأزهر فى بعض بلاد إفريقيا - أن البعثات الأزهرية فى الخارج تشكو مُرَّ الشكوى من قلَّة ما باليد وأن المبشِّرين من الغرب يحملون معهم ما لَذَّ وطاب من الأغذية والأكسية والبعثات الصحية والاجتماعية ، وأنهم لا يبشِّرون بالنصرانية إلا بعد أن يأسروا مَن يريدون تنصيره بصنوف الإحسان : يطعمونهم ، ويكسونهم ، ويرعونهم صحياً واجتماعياً حتى إذا بلغ الإحسان بهم مداه عرضوا عليه النصرانية وقالوا له : إن المسيح هو الذى أهدى إليك هذه الخيرات .. ؟!

أما رؤساء البعثات الأزهرية فكانوا يراسلون مسئولى الأزهر الكبار ليمدوهم ببعض المعونات حتى تثمر دعواهم فى الناس فكانوا يصابون بخيبة الرجاء حين يتلقون الردود على مراسلاتهم بأن ميزانية الأزهر لا تسمح (؟) علماً بأن

الأوقاف التى يمتلكها من عقارات وغيرها كفيلة بأن تسد هذا النقص من موارد الأزهر . ولكن مَن الذى يستطيع أن يقول : « إن البغل فى الإبريق » - كما يقول المثل .

هذه دلائل قاطعة على أن الثورة لم تحارب جماعة الإخوان المسلمين ؛ لأنهم خصوم سياسيون ينافسونهم على كراسى الحكم . بل حاربتهم من أجل الدعوة التى يعملون من أجلها وهى الحكم بما أنزل اللّه ، لا فى مجالات الحدود فحسب . بل فى كل مرافق الحياة مهما صغرت أو كبرت (؟!) .

* *

● إفساد الشباب :

ومن الإضرار بالإسلام ، الذى مارسته الثورة بعد اتجاه الرئيس جمال عبد الناصر إلى المعسكر الشيوعى ، هو ما حَلَّ بشباب مصر ذكوراً وإناثاً ، حيث أريد لهذا الشباب أن يُربَى على الفكر الماركسى « الثورى » الإلحادى . فأنشىء ما عُرِف بـ « منظمة الشباب الاشتراكى » وأقيمت لهم المعسكرات الدائمة والموسمية مثل معسكر أبى بكر الصدِّيق بالإسكندرية صيفاً .

أما المعسكرات الدائمة فقد أنشئت بمدينة حلوان ، وكان كل عضو من تلك المنظمة - فتىً أو فتاة - يتلقى دراسات منتظمة فى الفكر الثورى الاشتراكى ، ولكل فِرْقة مُوَجِّه دائم من الشباب الذى قطع مرحلة معيَّنة من الدراسة والتدريب . ويقوم بالتحاضر فيهم شخصيات بارزة ، ولا يكتفى بإلقاء المحاضرة ، بل كانت تطبع بكميات هائلة وتوزع على الدارسين ، تلك المحاضرات كانت تدور حول الفكر السياسى الماركسى ، وحول ما كان يسمى بالتحول الاشتراكى العظيم (؟!) .

وبالطبع فإن ما كان يتلقاه الشباب من فكر لم يكن فكراً إسلامياً بل هو مناوىء للفكر الإسلامى ، وكثيراً ما كان المحاضرون يحاولون التوفيق بين الفكر الاشتراكى الماركسى وبين الفكر الإسلامى لإضفاء الشرعية على الفكر الماركسى

أو إعطائه تأشيرة دخول وإقامة فى عقول الشباب ، كانت هذه الدراسات مقصورة على الشباب « العضو » فى المنظمة ، وكانوا يُعَدون بالآلاف المؤلفة وقد عَوّد بعضهم كبار المسئولين فى النظام على « التجسس » وكتابة التقارير عن الأشخاص وعن الأوضاع العامة . وهذا من سمات السقوط الخُلُقى الذى شاع بينهم .

* *

● ثم عمَّ البلاء وطمَّ :

لما أصدر الرئيس جمال عبد الناصر كتابه « الميثاق » وأريد له أن يكون أحد معالم النهضة الحديثة فى ظل المعسكر الشيوعى ، وأذيع ذلك الميثاق لأول مرة وسط ضباب كثيف من التهويل الإعلامى ، تناوله الصحفيون والمفكرون وبعض العلماء كأنه كتاب سماوى جديد نزل به الوحى من عند اللّه . فدبجوا المقالات والشروح المسهبة والتعليقات والمقارنات بينه وبين « الدساتير » ، واعتبروه نصوصاً مقدسة . وبذلك خرج التضليل من معسكرات « التشويع » التى كان ضحيتها شباب المنظمة ، ليكون الشعب المصرى كله - إلا مَن عصم اللّه - ضحية لهذا الوباء .

ثم رئى تدريس « الميثاق » فى المدارس الثانوية وما فى مستواها فطُبِعت منه ملايين النسخ ، وأحدث أزمة خطيرة فى الأوساط التعليمية . لأن « المعلمون » الذين أسند إليهم تدريس الميثاق كانوا لا يفهمون منه شيئاً . والتلاميذ الذين أريد لهم تحصيل العلم بما فى الميثاق كانوا أبعد عن فهمه من معلميهم . وتبع ذلك - بالطبع - روتينية الامتحان للتخلص من هذا « البعبع » الثقيل الظل .

ثم انضم إلى « الميثاق » فى أواسط الستينات « بيان ٣٠ مارس » فكان له ما كان لأخيه « الميثاق » من حفاوة مفتعلة بين الدوائر التى أشرنا إليها من قبل . وفى الواقع فإن « الميثاق » و « بيان ٣٠ مارس » أحدثا موجة من

النفاق منقطعة المثيل .. واستمرت هذه الموجة فترة من الزمن لم تمت إلا بموت الرئيس جمال أو قبله بقليل تحت وطأة الأحداث الجادة التى كشفت الغطاء عن « التيه » الذى كنا فيه ، وكانت بداية تلك الأحداث هزيمة ١٩٦٧

هذا .. وقد صرَّح الرئيس محمد أنور السادات فى أحد أحاديثه العامة بأن « الميثاق » و « بيان ٣٠ مارس » كان المقصود منهما امتصاص بعض الحساسيات . يعنى : لم يكونا عملاً جاداً بل كانا تمويهاً وتضليلاً ؟!

ولا يسعنا إلا أن نقول هنا : « وشهد شاهد من أهلها » والآن : أين الميثاق ؟ وأين بيان ٣٠ مارس ؟ بل وأين ورقة أكتوبر التى شغل السادات بها الفكر ردحاً من الزمن ؟ أين ذهب هذا كله ؟ جواب هذا السؤال هو قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾ (١) .

* *

● التخلص من القيادات المخلصة :

تمكين القادة الموالين للسياسات المعادية للإسلام خطةٌ من خطط مواجهة أوروبا للإسلام كما تقدم . وتقابلها خطوة أخرى هى التخلص من القيادات التى تدين بالولاء للإسلام ، ولمصالح بلادهم .. ومما يؤكد ذلك الوقائع الآتية :

* اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا أول مرشد عام للإخوان المسلمين ومؤسس الجماعة .

* اغتيال الرئيس عبد السلام عارف (العراق) لميوله الإسلامية .

* اغتيال الملك فيصل (السعودية) لدوره فى جمع كلمة المسلمين فى حرب العاشر من رمضان (١٩٧٣م) ولولائه الظاهر للإسلام .

---

(١) الرعد : ١٧

* اغتيال الرئيس ضياء الحق (باكستان) لولائه للإسلام ولسعيه الدائب لصنع مفاعل ذَرِّى يكون قوة للمسلمين .

* اغتيال الشهيد عبد الرحمن عزام لجهوده البطولية فى مساندة مسلمى أفغانستان المجاهدين لتحرير بلادهم من النظام الشيوعى العميل .

هذه الأحداث وقعت خلال نصف قرن تقريباً .

* *

● تربية العملاء :

من أخطر الوسائل التى نجحت فيها القُوَى المعادية للإسلام بعد رحيلها عن البلاد الإسلامية هى تربية العملاء الذين خدموا مخططات تلك القُوَى وكانوا - وما يزالون - البديل المخلص لها . والذى تحقق على أيديهم لم يتحقق على أيدى الاستعمار المباشر نفسه .

عملاء للمعسكر الصليبى الغربى الرأسمالى . وعملاء للمعسكر الماركس الشيوعى . ثم عملاء للصهيونية العالَمية . وعملاء لشتَّى الأيديولوچيات سواء أكانت دينية أو سياسية أو فكرية ثقافية . ومما زاد من خطرهم أنهم يمارسون عملهم وهم محصَّنون بمراكز تحميهم من المساءلة وتمكنهم فى الوقت نفسه من أداء المهمات التى وكلت إليهم . إن الهدف الذى يسعون لتحقيقه هو : القضاء على الإسلام ، أو تشويه حقائقه وعزله عن الحياة ؟!

وطرق تربية العملاء عديدة ، ومن أبرزها الابتعاث إلى الخارج للدراسة فى جامعات الغرب ومعاهده . فعن طريق الابتعاث تم تجنيد أعداد وافرة من العملاء قديماً وحديثاً ، ومن كلا المعسكرين الرأسمالى والشيوعى . والمبعوثون إلى الخارج الذين يتم تجنيدهم نوعان : فريق جاد فى طلب العلم وتحصيله . وهذا يتأثر ببريق الحضارة والفكر الغربى ، فيقع فى أسره درى أو لم يدر . وفريق خامل لا يهتم بطلب العلم . وهذا الفريق يُتساهل معه فيُمنح الدرجات

العلمية المطلوبة لكن بشرط أن يكون جندياً مخلصاً فى الدعوة إلى الحضارة الغربية والاستهانة بالإسلام .

ولدىّ - الآن - نص توصية وزّعها المستشرقون والمبشّرون على جامعات الغرب ، أضعها بين يدى القارىء حرفياً :

« لا شك أن المبشّرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا ، ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية فيجب أن تختار طلاّباً من ذوى الطبائع الضعيفة ، والشخصية الممزقة ، والسلوك المنحل من الشرق ، ولا سيما البلاد الإسلامية ، وتمنحهم المنح الدراسية ، وتبيع لهم الشهادات بأى سعر ، ليكونوا المبشّرين المجهولين لنا ، لتأسيس السلوك الاجتماعى والسياسى الذى نصبو إليه فى البلاد الإسلامية ، ومبشّرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ، ومآربنا باسم تهذيب الإسلام والمسلمين » [١]

ومصداقاً لهذا فإن أكثر العملاء وأشدهم خطراً هم الذين درسوا فى الغرب الصليبى أو الشرق الشيوعى أو عملوا هناك ، أو كانوا كثيرى التردد على تلك الأقطار ، وستأتى أمثلة منهم ومن أعمالهم فى غضون هذه الدراسة .

وهؤلاء العملاء يباشرون عملهم داخل البلاد من مواقع مختلفة أهمها : الصحافة - وسائل الإعلام الأخرى - التأليف والنشر - الندوات والمحاضرات العامة - العمل الفنى المقروء (القصة والرواية) - والممثل سينمائياً أو مسرحياً أو تليفزيونياً أو إذاعياً .. ثم الحفلات واللقاءات الخاصة . وقد دخلت الجامعات فى هذا المضمار وصار بعضها أوكاراً للفكر العميل المضاد (؟!) .

* *

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص . ١٥

● التعليم الأجنبى :

وغير خاف دور التعليم الأجنبى فى مصر وفى غيرها من البلاد الإسلامية ، ونوادى الروتارى والليونز ، كل هذه مستنقعات تفجرت فى الداخل لتربية العملاء والاستفادة منهم حسب ما يعطيه كل عميل بالنسبة للموقع الذى يشغله فى المجتمع أو فى المؤسسات الحيوية . ومما نلفت إليه الأنظار أن بعض العملاء قد يؤدى الدور المطلوب منه دون أن يشعر أنه عميل مجنَّد . بل يتصرف بنيَّة بريئة (؟!) وهذا هو مكمن الخطورة فى الموضوع . ونريد الآن أن نضع النقط فوق الحروف ، فنسوق أمثلة لإنجازات العمالة التى تحدثنا عنها ؛ ليكون القارىء على ثقة من صدق ما يُقال .

* * *

obeikandl.com